جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرَّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلَّة الرَّاسخون

مجلَّة عالميَّة محكَّمة

ISSN: 2462-2508

Special Issue, November 2022

إصدار خاص - نوفمبر 2022

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث العدد الخاص، نوفمبر 2022

الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
1. التغاير في القراءات القرآنية بالتنوين والإضافة مفهومه وحقيقته وأثره في المعنى	29-1
2. موقف العلماء من قراءة الإمام ابن عامر في قول الله تعالى: وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ	49-30
3. جهود القراء في الأندلس في علوم القراءات، وأبرز الإنتاج العلمي من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس	75-50
4. أثر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع في ظلال سورة الفرقان دراسة موضوعية	96-76
5. مَنْهَجُ الإِمَامِ البَرْقَانِيِّ فِي التَّعْدِيلِ مِنْ خِلَالِ سُؤَالَاتِ الخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ	128-97
6. آراء الإمام ابن عابدين في الحرب والجهاد دراسة فقهية تحليلية	152-129
7. دراسة لقاعدة عدم النقل أو عدم الورود وتطبيقاتها عند الشافعية	185-153
8. شروط اختيار رئيس الدولة دراسة مقارنة بين الفقه والدستور الصومالي	230-186
9. تفريق الدين وأثره في الأمة	256-231
10. الفرق الباطنية المعاصرة النصيرية أنموذجًا	292-257

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

نائب رئيس المجلة: الأستاذ المشارك الدكتور/ الطيب مبروكي

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله يوسف

نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم تويالا
- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ أشرف زاهر محمد سويفي
- الأستاذ الدكتور/ خالد حمدي عبد الكريم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد نبوي سليمان حجاج
- الأستاذ المشارك الدكتور/ دكوري عبد الصمد
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد القوي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي سيد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد العالي باي زكوب
- الأستاذ الدكتور/ عبد الناصر خضر ميلاد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد الحلواني
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد السيد إبراهيم البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي محمد السيد الطنطاوي
- الأستاذ الد كتور/ ياسر محمد الطرشاني
- الأستاذ الد كتور/ يوسف محمد عبده محمد العواضي

Arrasikhun Journal, Special Issue, November 2022

ISSN: 2462-2508

أثر ضعف التفكير على الفرد وا لمجتمع في ظلال سورة الفرقان دراسة موضوعية

كريمة أحمد عثمان الحمادي

ماجستير في التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم الإسلامية

جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

kka666@icloud.com

khadematalsonnah@hotmail.com

الأستاذ المشارك/ د. السيد سيد أحمد محمد نجم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم الإسلامية

جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

elsayed.negm@mediu.my

الملخص

لقد أوجب الشارع المحافظة على العقل، ورفع مكانه وميّز به الخلق عن سائر المخلوقات، فليس ثمة عقيدة تحترم العقل وتحترم نِتاج أفكاره السليمة وتعتمد عليه في ترسيخ عقائد الناس، وليس ثمة كتاب خاطب العقل وجعل منه مستنبطًا للقواعد والأحكام وتطبيق النصوص وتوظيفها له مثل القرآن، وأن أي تلف فيه، أو تعريضه لأفكار رديئة، سيؤدي إلى خلل في نظام الأمة، وتضييع لحق الله فيه من أن يعمل على غير مراد الله، كما أن فيه تضييعًا لحقه وحق المجتمع، وأنّ أيّ ضعف في تفكيره يعرّضه إلى هلاك نفسه ومجتمعه. ولذا سعى البحث في بيان خطر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع، كما سعى في توضيح أثر هذا الضعف على الفرد والمجتمع أيضًا. موظفًا المنهج الاستقرائي ثم الاستنباطي. وقد توصل البحث إلى أن ضعف التفكير في عدم التمكن من إدارة العقل الذي وهبه الله للتفكير الصحيح، وإنزال الأمور في غير مرادها الصحيح؛ وأن الحامل على ذلك اتباع الأهواء والجهل والظلم والتقليد، كما توصل إلى أن السيطرة على عقول الناس ببث الأفكار البعيدة عن الدين إنما هي لتسْيير الناس وراءهم وتجميع أحزاب للباطل يسهل السيطرة عليهم ليصبحوا آلة يعبثون بها كما يريدون تبعية بلا تفكير.

الكلمات المفتاحيَّة: أثر ضعف التفكير، الفرد والمجتمع، سورة الفرقان.

Abstract

The legislator has obligated the preservation of mind, raised its place and distinguished creation from other creatures, for there is no doctrine that respects reason and respects the product of its sound ideas and depends on it to consolidate the beliefs of people, and there is no book that addressed reason and made it a derivative of rules and rulings and the application of texts and their employment to him such as the Qur'an, and that any damage to it, or exposing it to bad ideas, will lead to a defect in the system of the nation, and the loss of God's right in it from working against God's will, and it is also a waste of its right The right of society, and any weakness in its thinking exposes it to the destruction of itself and its society. Therefore, the research sought to show the danger of poor thinking to the individual and society, and sought to clarify the impact of this weakness on the individual and society as well. Employ the inductive and then deductive approach. The research has concluded that the weakness of thinking in the inability to manage the mind that God has given to think correctly and to bring things down in the wrong direction; and that the bearer of this is to follow whims, ignorance, injustice and imitation, and also concluded that controlling people's minds by broadcasting ideas far from religion is to lead people behind them and assemble parties for falsehood that are easy to control to become a machine to tamper with as they want a dependency without thinking.

Keywords: The Impact of Poor Thinking, Individual and Society, Surat Al-Furqan.

مقدمة

الحمدُ لله حمدًا يليق بجماله وجلاله وعظيم قدرته وسلطانه، والصلاةُ والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أمَّا بعد:

فإن الله خلق الخلق وميَّزهم بالعقل، ودلهم على كل ما فيه صلاحهم، ليصلوا لغاية وجودهم؛ ويعملون لأصل سعادتهم، وأصلِّي وأسلم على من بُعث بالدلالة والإرشاد والبشارة والنذارة في الدين، فكان القائد المحبب لإعمال عقولهم فيما ينفعهم، والناهي لهم عما يَضرهم ويُهلكهم، وعلى آله وأصحابه الذين برز فيهم كمال الفطنة فاختاروا الله ورسوله والدار الآخرة، فسعوا في نشر دينه إسهامًا منهم في خدمته، ومن اتَّبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

ومن هذا المنطلق، جاء هذا البحث الموسوم ب: (**أثر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع في ظلال سورة الفرقان، دراسة موضوعية**) وهو مأخوذ من رسالة علمية كانت بعنوان: (**المقاصد القرآنية في ضوء سورة الفرقان وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع، دراسة موضوعية**) ليكون عونًا للقارئ في تدبُّر كلام الله ﷻ.

مشكلة البحث:

إنَّ من أسس التعامل مع القرآن الكريم هي أن نفهمه وندرك غاياته، ونقف على أهدافه وما يرمي إلى تحقيقه في نفوس الأفراد والمجتمعات، فمعرفة الأثر العقلي الذي يترتب عليه مناط التكليف ابتداءً تجعل لدى الإنسان تصورًا عامًا عن أهمية العقل وكيف له أن يكون مسترشدًا بنور الوحي؟ أو يصبح آلة للإدراك المعرفي فقط دون أن يكون هو السبيل للتمييز بين الخير والشر فيصبح ضعيفًا لا يتأثر، ولا يميز بين شهوته وشبهته. وقد جاءت دراسات تحدثت عن العقل والتفكير وأهميتهما، ولكن دراستي جاءت لتبين أثر ضعف التفكير وخطره وأسبابه على الفرد والمجتمع في ضوء سورة الفرقان دراسة موضوعية.

ومن هنا يتم طرح الإشكالات الآتية:

- ما خطر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع؟
- ما أسباب ضعف التفكير في الفرد والمجتمع من ظلال سورة الفرقان؟
- ما أثر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع في ظلال سورة الفرقان؟

أهداف البحث:

- بيان خطر التفكير على الفرد والمجتمع.
- تحديد أسباب ضعف التفكير في الفرد والمجتمع في ظلال سورة الفرقان.
- أثر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع في ظلال سورة الفرقان.

مصطلحات البحث:

الفكر في اللغة هو: الفَكْر والفِكر: "إعمال الخاطر أو تردد القلب في الشيء، قال الليث: التَّفَكر: اسم للتفكير ومنه يُقال فكَّر في أمره، وتفكَّر..." (1)

اصطلاحًا: الفكر: "ترتيب أمور معلومة تؤدي إلى مجهول" (2).

(1) لأزهري: **تهذيب اللغة**، ط1 (10/ 116)، ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د.ط (4/ 446)، ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، (5/ 65).

(2) الجرجاني: **التعريفات**، ط1 (ص: 168).

ويمكن القول بأن الفكر هو: إعمال لعقل الإنسان في أمر ظاهر للوصول لأمر خفي.

الأثر في اللغة: "بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ آثَارٌ وأُثُور، وَخَرَجْتُ فِي إِثْرِه وَفِي أَثَرِه أَي بَعْدَهُ" ويقال أَثَّر فِي الشَّيْءِ: تَرَكَ فِيهِ أَثراً. والأَثَر: الْخَبَرُ، وفي التنزيل: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: 12] أي: نكتب ما أسلفوا من أعمالهم من السُّنن الحسنة أو السَّيئة" [1]

اصطلاحًا: "يطلق الأثر على كلام الصحابة" [2]، كما عُرِّف بأنه: حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة، وأثرت الحديث نقلته" [3].

ويمكن القول بأن الأثر هو: ما تبقى من أعمال محسوسة أو معنوية، حسنة أو سيئة تُرِكت لمن بعدهم من الأقوام.

الفرقان في اللغة: فرقت بين الشيء أي فصلته، وكذا فرقت بين الحق والباطل فصلت أيضًا، ومثلها الرجل يفرق بين الأمور أي يفصلها، ويقال للقرآن فرقانًا [4].

اصطلاحًا: الفرقان: "هو العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل" [5]

ويمكن القول بأن الفرقان هو: العلم المُبيّن والمفصِّل للأشياء لخيرها وشرها، وقد جاء في التنزيل ما يُوضِّح هذا الأمر بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: 1].

أهمية البحث:

- تنبثق أهمية البحث من غرس القيم وتصحيح مسار التفكير الناتجة عن ضعف تفكير العقول.
- يستمد البحث قيمته من أهمية السورة التي ميَّزت بين العقول المسترشدة بنور الوحي ممن اتَّبعت أهواءها فكانت كالأنعام بل أضل بقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 1]، مما يدعو المختصون البحث عن أساليب ناجعة للناس عمومًا وفئة الشباب خصوصًا لرد كل لوثة تجعل من عقل الإنسان سبيل للانحراف والانحلال دون أن يشعر.
- وأخيرًا تزداد أهمية البحث لقلة من كتب في موضوع ضعف التفكير من خلال سورة الفرقان، وإن كانت الأبحاث متكاثرة عن العقل والفكر وأهميتهما.

الدراسات السابقة:

- لم تخلُ كتب التفسير القديمة والحديثة من الحديث عن العقل والتفكير على تفاوتٍ بينها في العناية بها دلالةً وإرشادًا؛ غير أنها في الغالب مبثوثة في مواضع متفرِّقة من كتبهم. ولابن القيم كلامٌ نفيس عن الفكر في كتابه مفتاح دار السعادة وكتاب الفوائد

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، (4/ 5-6)

(2) للزركشي، **النكت على مقدمة ابن الصلاح**، ط1، (417/1).

(3) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط1، (ص/38).

(4) انظر: الفيومي، **المصباح المنير**، د.ط، (2/ 470-471).

(5) الجرجاني، **التعريفات**، ط1، (ص: 166).

كما وجد تأليفًا للباحث عبد العزيز الجليل بعنوان: أفلا تتفكرون.

- كُتبت أبحاث ورسائل علمية عن العقل أو أثر العقل وكذلك الفكر والتفكير، ولكن لم يُكتب عن أثر ضعف التفكير وأثره على الفرد والمجتمع في ضوء سورة الفرقان دراسة موضوعية تحديدًا.

وأمَّا ما بُحِث من الرسائل العلمية عن العقل والفكر وأثره فمنها:

- أجرى الشيخ محمد أحمد حسين، دراسة حول مكانة العقل في القرآن والسنة، في أبحاث ووقائع المؤتمر للعام الثاني والعشرين، تناول البحث موضوع مكانة العقل في القرآن والسنة، من جانب الإشارة إلى آيات من كتاب الله المتعلقة بالعقل والوقوف في ظلالها، كما جمع عَيِّنة من الأحاديث المتعلقة بالعقل وخرَّجها وحللها، كما استنبط الموضوعات التربوية والدعوية المتعلقة بالعقل في الكتاب والسنة، وقد استخدم المنهج الوصفي التحليلي، واستفدتُ منه في تحليله للآيات وطرق عرضها خاصةً في عرضه لدلالات الآيات [1].
- وتناولت الباحثة عائشة عبد الله السعدي، و أ.د. محمد سليمان نور، بحثًا مشتركًا بعنوان: المخدرات الرقمية وآثارها على مقصد العقل: دراسة مقاصدية، وهو بحث مقدم لمجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد11، العدد4، لعام 2019م، هدفت الدِّراسة إلى توضيح مفهوم مقصد العقل وكيفية حفظه ومكانته بين الضرورات الخمس، كما وضحت مفهوم المخدرات الرقمية وماهيتها وحكمها في الشريعة الإسلامية، وربطها بمقصد حفظ العقل، وقد استعمل المنهج الاستقرائي، والاستدلالي، والترجيحي واستفدتُ من بحثهما في هشاشة العقول عندما تتعرض للتلف دون تفكير بالعواقب إلا تلبية للشهوات.[2].
- وقد أجرى د. محمود رشاد محمد عبد النبي دراسةً بعنوان: العقل الفردي والعقل الجمعي وأثرهما في نفسية المدعو، بحث مقدم لجامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، هدفت الدراسة قضايا عقلية فكرية تفيد الداعية في دعوته، وتفسح له مجالًا رحبًا في فهم عقلية المدعو، وكيفية إقناعه وإرشاده وتأثره وتأثِيره، وقد سلك في بحثه المنهج التاريخي، والتوثيقي، والاستنباطي، واستفدتُ منه في أنَّ للعقول مؤثرات متى ما استجاب لها أعملت فيه حسب التيار الذي يسلكه معها إن خيرًا فخيرا وإن شرًّا فشرا. [3]

(1) انظر: محمد أحمد حسين، **مكانة العقل في القرآن الكريم**، د.ط، (ص/7).

(2) انظر: عائشة عبد الله، ومحمد سليمان نور، **المخدرات الرقمية وآثارها على مقصد العقل**، د.ط، (ص/197، 202).

(3) انظر: محمود رشاد، **العقل الفردي والعقل الجمعي وأثرهما في نفسية المدعو**، (ص/563).

وهذا البحث وإن كان يشترك مع البحوث السابقة في بعض القضايا والجزئيات، إلا أنه يختلف عنها من حيث موضوعه، وطريقة تناوله، حيث يتناول هذا البحث أثر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع في ظلال سورة الفرقان خاصةً، وبالمنهج الذي سنَذكره لاحقًا.

أسأل الله أن يُسددنا لما يحبه ويرضاه، ويرزقنا صدق الإخلاص في القول والعمل.

منهج البحث:

اعْتمد البحث على المنهج الاستقرائي [1] والاستنباطي [2]، وذلك عند تتبُّع كلام أهل العلم في مظانِّه من كتب التفسير وغيرها ممن له علاقة بالبحث، واستنباط ضعف وخطورة تفكيرهم من السورة.

حدود البحث:

تدور الحدود الموضوعية لهذه الدِّراسة حول استقراء الآيات التي تحدثت عن أثر ضعف التفكير، وعن خلق علموا الحق وأيقنوا به، ولكن الحقد والاستكبار أعمى قلوبهم عن اتباع داعي الحق، في ضوء سورة الفرقان والتي استغرق الحديث عنها في تسع عشرة آية مكية هي: (3، 4، 5، 7، 8، 11، 21، 32، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 55، 60)، سيتم بيانها أثناء الدراسة.

ومن هذا المنطلق يجدر بالباحثة الرجوع في فَهْم هذه الآيات والآثار المتعلِّقة بها من كُتب التفسير وغيرها من العلوم التي توضِّح أثر ضعف تفكير العقول قديمًا وحديثًا.

إجراءات البحث:

تنهج الدراسة الطريقة الموضوعية والاستقرائية والاستنباطية في البحث؛ متخذًا في ذلك الخطوات الإجرائية التالية:-

عزو الآيات بحيث يكون في المتن بالطريقة الآتية: [اسم السورة: رقم الآية]، وجعلت الآية بين القوسين المزهرين الآتيين: ﴿ ﴾ مع كتابتها برسم المصحف العثماني.

عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو، وإن كانت في غيرهما قمت بتخريجها من كتب علماء الحديث قديمًا وحديثًا، وبيان الحكم عليها.

توثيق المعلومات الواردة في المتن بالهامش يكون كالتالي: المؤلِّف، المؤلَّف، ثم الجزء والصفحة، وأحلت باقي المعلومات المتعلقة بالمصدر في فهرس المصادر والمراجع.

في دراسة الآيات، أذكرها ثم أبين أثر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع بالتوضيح والبيان، مع نقل أقوال علماء التفسير رحمهم الله تعالى من السلف والخلف

(1) عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية"، محمد سرحان علي المحمود، **مناهج البحث العلمي**، ط3، (ص/73).

(2) الذي يقوم على استخلاص نتائج من شيء نعرفه معرفة يقينية تلزم عنه – انتقال من الكل إلى الجزء– حلمي عبد المنعم صابر، **منهجية البحث العلمي وضوابطه**، د.ط، (ص/73).

المتعلقة بأثر ضعف التفكير إن احتِيج إلى ذلك.

الخاتمة وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع.

تمهيد: تعريف موجز بسورة الفرقان.

يقول تعالى مُعظمًا لنفسه الشريفة، على ما أنزله على نبيه ﷺ من القرآن الكريم، وما فرق به بين الحق والباطل، وما دعا الناس إليه من الخير، وما حذرهم من الشر، وأنَّ أعظم الشر من اتخذ من دون لله آلهة لا تنفع ولا تضر.

يخبر سبحانه عن سخافة تفكير عقول الجهلة من الكفار، في قولهم عن الوحي أنه افتراءات وتخرصات ليس لها دليل من الصدق فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: 4]، ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: 5]. وغيرها من الافتراءات.

يخبر الله عن تعنّت المكذبين وفظاظة ردهم للحق بلا برهان ولا دليل، وإنما تأوَّلوا بقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: 7]. وهكذا استرسل القوم في التخرصات وختموها باتهامك بالسحر والجنون فضلوا عن طريق الهدى فقالوا: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: 8]

ثم أخبر سبحانه أنه لو شاء لأعطاه خيرًا وأحسن مما قالوا: فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠...﴾ [الفرقان: 10-16]، وإنما الذي حملهم على ذلك هو التكذيب بالساعة وما أعده الله للمكذبين من النكال.

ثم يخبر سبحانه عما يكون يوم الحساب من توبيخ الكفار في عبادتهم لغير الله واتخاذ غيره أخلاء من دون الله كما يخبر سبحانه ما يكون فيه من الأمور العظيمة فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧...﴾ [الفرقان: 15-26]

ثم يتوعد الله كل من كذب واستهزأ برسوله محمد ﷺ، فحذرهم من عقابه، مما أحله بالأقوام السابقة المكذبين لرسله عليهم السلام فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥...﴾ [الفرقان: 35-44]

شرع سبحانه في بيان الأدلة على وجوده، وقدرته الكاملة على خلق وإيجاد وتصريف الأشياء فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥﴾ [الفرقان: 45 - 54] ومع وضوح الأدلة عبدوا غيره مما لا ينفع ولا يضر، تاركين نذر الرسول ﷺ وبشاراته لهم.

ثم ختم السورة بجملة من صفات عباد الرحمن الذي استجابوا لمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ. (1)

المبحث الأول: خُطورة ضعف التفكير على الفرد والمجتمع

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية الفكر في الإسلام.

الفكر هو: إعمال للعقل في الأمور المعروفة لإدراك أمور مجهولة،(2) ولا يمكن للوصول لهذه الوظيفة –

(1) انظر: الطبري، **جامع البيان**، (19/ 233-241)، ط1، ابن كثير، **القرآن العظيم**، (6/ 84- 109)، ط1.

(2) انظر الجرجاني: **التعريفات**، ط1 (ص: 168).

التفكير- إلا عن طريق أداة المعرفة التي فطر الناس عليها وكرمهم بها وهي العقل، ولا يخفى على من له أدنى لب ما للعقل من أهمية عظيمة تميَّز بها بنو آدم عن غيره، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: 70] فعلى الإنسان أن يدرك أهمية العقل في حياته فيبتعد عن تدميره أو إهلاكه بالشبهات والشهوات، بل يفكر بما يعود عليه بالخير والتفكير بما يتلوه من آياته وما يشاهده من آلائه ونعمه، فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان: 62]، ولقد حثَّنا الله تعالى إلى استعمال هذه الأداة من خلال الحث على التفكر والتدبر والنظر والاعتبار وغيرها في البحث عن أسرار هذا الكون فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: 101] والمسدد من سدده الله فوجَّه فكره وهمه في التَّعرف على خالقه، واللهج بذكره وشكره وحسن عبادته، والتَّهَيُّؤُ للقائه في الآخرة [1].

بل وقد جاءت السنة النبوية حاثةً على إعمال العقل بالتفكر، فعن بريدة، عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها فإنها تذكر الآخرة" [2] وكما ورد عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله" [3]

كما وردت آثار عن السلف في أهمية التفكر والترغيب والحث عليه فمنها:

قال الحسن البصري رحمه الله" إنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة" [4]

وقال بشر بن الحارث الحافي رحمه الله: " لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه" [5]

وقال الحسن رحمه الله: "سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكر" [6]

وما ذُكر من بعض النصوص والآثار لِيُوَضِّح عناية الإسلام وحمايته للفكر وما لعملية التفكير من أهمية في حياته الدنيوية والأخروية.

فالفكر في الإسلام حظي بعناية فائقة، والأفكار التي تتولد إنما هي ثمار للعقل، وكلما أعمل فكره فيما ينفعه

(1) الجُلَيِّل، **أفلا تتفكرون**، ط1، (ص/8).

(2) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، د.ط، (2/ 672)، رقم (977).

(3) **أخرجه الترمذي في سننه**، أبواب صفة القيامة، ط2، (4/ 638)، رقم (2459)، **وقال الترمذي**: حديث حسن، ومعنى (دان نفسه) أي: حاسبها وأذلها واستعبدها وقهرها حتى صارت مطيعة منقادة، انظر: المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، د.ط، (7/ 132) رقم (2459).

(4) انظر: ابن كثير، **القرآن العظيم**، ط2، (2/ 185)، عند تفسيره للآية (191) من سورة آل عمران.

(5) ابن كثير: **المصدر السابق**، (2/ 185).

(6) ابن كثير، **المصدر السابق**، (2/ 185).

كان خيرًا له وأنفع، وكلما اختلط فكره فيما يشوشه أو يدخل عليه ما يؤدي به إلى انحراف مساره دون أن يكون له ما يمنعه من الوقوع فيه، أدَّى ذلك للانحراف في المفاهيم والمعتقدات، وتشويه صورة الدين، والتشكيك في قواعده وثوابته، والدعوة والنضال لحدوث الفتن والشكوك، والوقوف ضد دعوة الحق، والنداء لتعبيد الخلق لأهوائهم ومحاربة أصول دينهم، وهذا خطر على الأمة برمتها، ويفتك في عقول شبابها وهو ما سيكون الحديث عنه في خطر ما أصاب تفكير القوم من اللوثات الهادمة لأسس دينهم.

المطلب الثاني: خطر ضعف التفكير

إن الفكر مجموعة من الرؤى والاجتهادات التي توصَّل إليها العقل السليم، من خلال تأمله في النصوص الشرعية، وبالتالي فإنه يحتاج لحماية من أي مدمر وتحديات تمنعه من الانحراف. فإذا فُقِد مانع الحماية وقع في الميل والانحدار لما هو أسوأ [1] وأن أصل كل خير وشر ومعصية هو الفكر، فالشيطان متى صادف أرض القلب خاوية بذر فيها آراء فاسدة فتكون شغله الشاغل [2] ومتى قويت هذه الأفكار أوجبت لصاحبها أمراضًا لا يستطيع الخلاص منها إلا إذ ارحمه الله تعالى.

ولنتأمل خطر هذا الفكر على الإنسان في معالجة موسى –عليه السلام– مع قومه، فقالوا: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ [الأعراف:132]، قال ابن كثير ﷺ: "أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها رددناها فلا نقبلها منك ولا نؤمن بك ولا بما جئت به" فعاقبهم الله﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ ﴾ [الأعراف:133] [3] ثم قال: "أنهم لما عتوا وتمردوا مع ابتلائه إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة انتقم منهم بإغراقه إياهم في اليم " [4]

فهذا يدل دلالة واضحة على أنهم تأثروا ببعضهم، ولم يمنعهم مانعٌ من التغيير، ولم يعتبروا بالحجج التي رأوها ولامسوها، بل كل هداية كانت تزيدهم عمى وحَجْبًا عن الاستجابة.

إنَّ فِطر الخلق منشؤها أن تتجه لمن أحسن إليها قلبًا وفكرًا وخاطرًا، دون أن يلتفت لأدنى فكرة تلوث هذه الفطرة التي بدورها تعمل له على تصحيح الطريق، ولكن متى حصل ميلًا لها وتأثرت بالخواطر والأفكار كان الدمار والهلاك، وهذا ما سيتم توضيحه لاحقًا.

المبحث الثاني: أسباب ضعف التفكير في الفرد والمجتمع من خلال سورة الفرقان.

قد مر بنا في المبحث السابق أهمية الفكر في الإسلام، وتكريم الله للإنسان والحفاظ عليه من أي مؤثر وعناية السلف به والتأمل فيه وأنَّ التفكير الصحيح ينفع

(1) انظر: عبد الكريم بكار، **المناعة الفكرية**، ط4، (ص/7-8).

(2) انظر: ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، د.ط، (527/1).

(3) ابن كثير، **القرآن العظيم**، ط2، (3/ 461).

(4) ابن كثير، **المصدر السابق**، ط2، (3/ 466).

المتفكر فيسعد في الدنيا والأخرة، ولكن كم هم الذين يفكرون مثل هذا التفكير السليم المثمر؟ إنهم قلة من عباد الله تعالى، وهم أولئك الذين جعلوا الهداية سبيلهم، والمنهج القويم لتفكيرهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

وأما الكثير – وما أبرئ نفسي- فقد ألمَّ تفكيرهم جوانب من الضعف والمرض، ولكن بين مقل ومكثر ولهذا الضعف أسباب عدة ومظاهر متعددة نذكرها فيما يلي:

أولًا: الغرور بالعقل والوثوق المطلق به.

العقل مِنَّة عظيمة من نعم الله عز وجل التي أنعم بها على عباده، وهو الوسيلة إلى معرفة الخالق سبحانه، و وتبصرة لما جاءت به الرسل عليهم السلام من عند الله تعالى والتفكر في ما خلق في هذا الكون وما فيه من الآيات على وجود الله تعالى والمجال في ذلك واسع، ومع ذلك فهو محدود بحدود لا يستطيع الفكر أن يعبرها لعدم قدرته على إدراك ما وراءها بفكره وعقله، لأنه لم يعط القدرة على ذلك، وإنما وظيفته التسليم والانقياد لما جاء عن الله ﷻ، وعن رسله عليه السلام من الأخبار المغيبة التي ليس لنا فيها إلا الخبر عن الله ﷻ، أو ما أطلع عليه بعض رسله، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] ولله عز وجل قد جعل للعقل حد في إدراكه كما جعل للبصر والسمع حدًا لهما. وإذا استقل الإنسان وسيطر عليه غرورة بعقله، وانفصل عن الوحي، ولم يسترشد به في تفسيره للحياة والكون من حوله أصبح كالأعمى والأصم، والمتخبط في بحر متلاطم مهلك لا يستطيع الخروج منه، ويصاب بضعف عظيم في تفكيره وموازينه [1]

وقد رأينا الغرور بالعقل والوثوق به واضحًا جليًا في سورة الفرقان عندما رفضوا الحق وكذبوه واغتروا بأنفسهم أنهم أصحاب الحق وأن ما عليه محمد ﷺ باطل مفترى قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ [الفرقان: 4]. كما وصفوا الوحي بأنه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 5].

كما رأيناه عند أهل البدع أيضًا المفارقين لأهل السنة في نظرتهم للعقل من التعصب المقيت وأنهم على حق وغيرهم على باطل.

قال السعدي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: 188]

قال: "ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بها، ودعا إليها، وزعم أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل البدع" [2] .

(1) الجُلَيِّل، **أفلا تتفكرون**، ط1، (ص/397-399).

(2) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، (ص/ 160).

ثانيًا: التسرع والعجلة في التفكير.

العجلة من جهل وطبيعة الإنسان بدليل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: 11] ولكن المسلم الذي يؤمن بالله وبما جاء عن رسول اللهﷺ يستطيع التغلب على هذه الصفة، وذلك بتهذيبها حتى يغلب عليه التؤدة والتثبت من الأمور خاصة فيما يتعلق بالحكم على الناس.

ومع ذلك فهناك من يُعرف عنه السرعة والعجلة في التفكير، والتخبط في اتخاذ القرارات، والتَّسرع في إطلاق الأحكام، وهذا النوع يتسرع في تكفير الناس وعدم قبول أعذارهم والخروج على الثوابت الشرعية، وسرعة التصديق للأفكار الجديدة حتى يلتقطها ويبدأ بنشرها، والزيادة عليها وغيرها [1]

فقد ردوا الوحي الذي جاء به محمد ﷺ وتسرعوا في إطلاق الافتراءات وتعجلوا في الحكم عليه فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان: 7]. كما قالوا: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان: 8]. وكل هذا إصدار للأحكام بغير علم ولا تفكير.

ثالثًا: التقليد الأعمى والجمود في التفكير.

إن المنهج الإسلامي يربي المسلمين على أن يكونوا محافظين على منهج الله متبعين سنة رسول الله ﷺ، ومحافظين كذلك على إيمانه وعقولهم، وعلى مصيرهم في الدارين، ويحذروا من التقليد الأعمى الذي يدخل الناس في ظلمات الجهل والضلال، كما ذم اللهﷻ من يسلم عقله لمخلوق مثله يتعصب له وينظر بفكره وعقله، ويقلده تقليدًا أعمى لا ينفعه بشيء، قال تعالى عن المشركين الذين اتبعوا آباءهم وقلدوهم في الشرك والضلال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: 170]

قال السعدي ﷺ:. فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالا وهذا فيه دليل قاطع على رد الحق والإعراض عنه، فلو كانوا يريدون الهداية لوفقهم سبحانه وتعالى إليه [2]

كما بينت سورة الفرقان الأقوام الذين كذبوا الرسل عليهم السلام، فقد كان رفضهم للحق العمى والتقليد باتباع بعضهم البعض، حتى لو كانوا مخالفين للحق، فحذَّر الله تعالى المشركين أن يكونوا مثل من سبقهم مقلدين لأفعالهم، فأهلكهم الله ﷻ بما يستحقون من العذاب، ومع ذلك فعلوا نفس أفعالهم فذاقوا من العذاب والنكال [3]

رابعًا: التفكير الهابط الديني.

وهو ذلك التفكير الذي يحصر صاحبه في الأمور

(1) انظر: بكار، **المناعة الفكرية**، ط4، (ص/ 43)، الجُلَيِّل، **أفلا تتفكرون**، ط1، (ص/411-412).

(2) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط1، (ص/ 81)..

(3) انظر: السعدي، المصدر السابق، ط1، (ص/583)

الدونية الدنيئة البعيدة عن معالي الأمور، كالتفكير بملذات الدنيا وشهواتها المحرمة والتحايل على الوصول إليها.

وشتان بين من فكره في معالي الأمور كشأن الآخرة والدعوة والجهاد ونفع العباد، وبين من فكره يحوم على الشهوات والأماني الباطلة والخواطر الرديئة [1] .

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله :. وهذا معنى قول بعض السلف: "القلوب جوالة؛ فقلب حول الحش وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش" [2]

وسورة الفرقان عرضت جانب من هذا الفكر الهابط الدني، عندما أخبرنا الله عن هلاك قوم لوط عليه السلام بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: 40]؛ والسبب في وقوعهم في هذا الهلاك هو تقديم شهواتهم بل انتكاس فطرتهم بفعلهم الشنيع الذي حكى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: 81].

خامسًا: الخلل في ترتيب الأولويات أثناء التفكير.

يتميز واقعنا المعاصر بكثرة عقباته وهمومه، وكثرة الواردات على التفكير من التزامات وقضايا بعضها أهم من بعض، وبعضها يعارض بعض، ومع تزاحم الواردات على الفكر لا يدري صاحبها بأيها يبدى، ولذلك يقع كثير من الناس في الخلل الفكري في ترتيبها، والمسلم الصادق يُغلِّب جانب الظن فيأخذ بالغالب ويترك المتوهم، فإن تساويتا فإنه ينظر إلى أيهما أعظم خيرًا ومصلحة فيقدمه.

وقد وبخ الله تعالى القوم الذين افتخروا بالسقاية وسدانة البيت، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله، لا في الذي افتخروا به من السِّدانة والسقاية، فقال تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [التوبة: 19-20] (3)

هذه بعض الأسباب لضعف التفكير وإلا فالأسباب كثيرة، ولكن حاولنا أن نأتي بأهمها، وأن الخلل فيها سبب في بقاء الإنسان دون تقدم ديني أو دنيوي أو أخروي، فيبقى يتخبط في هذه الحياة تائه في صحراء واسعة دون أن يقضي منها شيء حتى تنقضي به الحياة.

وبعد ذكر هذه الأسباب سنبين في المبحث القادم أثر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع.

المبحث الثالث: أثر ضعف التفكير على الفرد والمجتمع في ظلال سورة الفرقان

لقد أهْدى الله سبحانه وتعالى للإنسان عقلًا بصيرًا مبدعًا ميَّزه به عن غيره من مخلوقاته، فهو يعرف طريق الخير والشر، وقد خاطب الله تعالى هذا العقلِ ولفت

(1) انظر: الجُلَيِّل، **أفلا تتفكرون**، ط1، (ص/ 423).

(2) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، د.ط، (1/ 423).

(3) انظر: الطبري، **جامع البيان**، ط1، (14/ 168).

تفكيره في آيات كثيرة، فقد خاطب العقل في آيات تربوا على أربعين آية بجميع مشتقاتها، كلُّ ذلك ليبين لنا أهمية تفكيرِ العقولِ وتحكيمها على أهوائها.

ومن هنا سنعرض بعضًا من الآيات التي حصل فيها للإنسان انتكاسةً وبُعدًا عن منهج الله ﷻ في ظل سورة الفرقان من خلال ثلاثة مطالب:.

المطلب الأول: أثر ضعف تعْبيد الأفكار لغير الله ﷻ.

في ضوء سورة الفرقان تم استقراء بعض الآيات في هذا المطلب وهي:

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣﴾ [الفرقان: 3]

وقوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: 42-43].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾ [الفرقان: 55].

و قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ٦٠﴾ [الفرقان: 60].

وبالنظر والتأمل في مجموع الآيات يتبين تفكير ضعف القوم وتعبيد أفكارهم لغير خالقهم سبحانه وتعالى في ما يلي:

أولًا: التقليد الأعمى لموروثات الآباء والأجداد وهذا من أشد العجب وأظهر الدليل على سفه من اتخذ من دون الله ﷻ آلهة، وفيه من نقص عقولهم، وسوء تفكيرهم، وجراءتهم على خالقهم أن يعبدوا من هذا وصفه ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣﴾ [الفرقان: 3] (1)

وفيه دليل أن كل من كان له محبوب قد تعلق به فإن أثر تعلقه به يقوى ولو كان لا ينتفع منه شيئا.

ثانيًا: جهل العقول: فالقرآن الكريم يعلمنا أخبار القوم، وأن عدم الاستجابة لداعي الحق لهو خلل في تفكير عقولهم، كيف؟ يرون نور الهداية وشمسه المشرقة في الأفق ومع ذلك ينافحون على ما أملته عقولهم من سوء الأفكار ويدافعون عنها بكل قوة وكأنهم على الحق، بل ومن شدة ضلالهم زعمهم أن الضلال هو التوحيد وأن الحق ما هم عليه من الباطل، فلهذا تواصوا بالصبر عليه﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦﴾ [ص: 6] (2)

إن أهل الإجرام خافوا من العقول المدركة والمسترشدة والمنتجة لنجاح دينها وإعلاء قيم أبنائها ؛ ليكون لهم خلف، فسعوا في إشغالها بما لا يشغل، بما أدخلوا على عقولهم من مطالبتهم بحقوق هي في الأصل مضبوطة

(1) انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، (ص: 577).

(2) انظر: السعدي، **المصدر السابق**، ط1، (ص: 583).

بالشرع بقيود محكمة للحفاظ على هُويَّة المسلم، فلا يصبح مجرد مستهلك لما يقوله الآخرون أو يفكرون فيه من غير وعي ولا إدراك.

ومن كيد شياطين الإنس والجن أن ألقوا على ألسنتهم أن كلام الوحيين أنما هو ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، وألمح إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية، فعملوا حاجز بينه وبين اقتباس الهدى واليقين من الوحيين وأحالهم على منطق أهل الباطل وأقوالهم. وقالوا لهم: تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان، ومرت عليها القرون والأزمان، فانظر كيف تلطفوا بكيدهم ومكرهم حتى أخرجوهم من الإيمان والدين، كإخراج الشعرة من العجين [1]

وإنَّ واقع اليوم يعيد تاريخ الأمس، بتمسك الناس بتلك المعتقدات مع تطور أفكارها ...

إن من الواجب علينا كمسلمين أن نحرر عقولنا وطرق تفكيرها ونواجه التحديات، ونعمل على القيام بما يجب علينا من حقوق ومسؤوليات، فيجب علينا الاعتبار بما سبق من خبر القرون البائدة أن أسباب الهلاك تتشابه بل وقد تزيد فيمن بَعدهم بمقدار بُعدهم عن المنهج الصحيح.

ثالثًا: تأليه الهوى: أصحاب الهوى تزيَّن لهم الباطل بصورة الحق قال تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: 42].

واستحبوا العمى على الهدى، وعبدوا حجارة وجمادات بمحض إرادتهم، ونحتوها بأيديهم، جانبوا الفطرة والعقل السليم، وقدموا الرأي والهوى فتبعوه، وسدوا على قلوبهم أبواب الهداية، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وطرقها ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: 55] فكانت العقوبة أن طبع الله ﷻ على قلوبهم وأسماعهم وجعل على قلوبهم غشاوة فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: 23] (2)

أصحاب الهوى اليوم هم من ولَّوا وجوههم شطر المنهج الحرام، بدعوة الحرية والحضارة، حتى يسلخوا هذه الأمة من شريعتها، ويعزلوها من الحياة، لتبقى في المساجد والعبادات الشخصية، ويسمحون بنشر الكفر والإلحاد بدعوى النهوض والانفتاح، واحترام حرية الرأي والتعبير، يسعون لإسقاط سموّ الأخلاق إلى سُفُول الرذائل ومحاربة الفضيلة والعفاف [3]

إن ضعف العقول وهشاشتها لتبديل دين الإنسان وقيَمه، وأفكاره ومعتقداته، فتضر به أيما ضرر، وتُتَبِّر به غاية التتبير،كما وتجعل من المجتمع من ينظر إليه على أنه قدوة.

وبعد الإشارة لضعف وتلوُّث عقولهم في طريقة تعبدهم وأثرها على الفرد والمجتمع، نشير لطريقة أخرى لبسها

(1) انظر: ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، د.ط، (1/ 119).

(2) انظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ط1، (6/ 172، 7/ 141)، السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، (ص: 618).

(3) انظر: شحاته صقر، **الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان**، د.ط، (ص/ 8-10).

إبليس على أهل هذه العقول المريضة فاستحكمت عليها واشتدت فيها الصراعات على تعاليم الدين وعقائده فأثاروا شبهات القدماء بإعادة صياغتها لتفسد على الناس دينهم فتنهمر كالسيل الجارف، وتلك الشبهات ستذكر في المطلب القادم.

المطلب الثاني: أثر ضعف الشُّبه التي لبَّسها القوم على أنفسهم.

أصبحت اليوم الشبهات صناعة للسيطرة على عقول الناس، ينتهي أثرها ويتوقف لمن كان بصيرًا في دينه، وتشيع وتستحكم لجهل الناس بدينهم وما يكيدون لهم في عقائدهم، فأصبحت شبه الأمس هي نفسها شبه اليوم ولكنها بصناعة فكرية معاصرة، ففي الماضي قالوا عن الوحي والنبوة كما أخبر الله ﷻ به في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ [الفرقان: 4]. **وقوله:** ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفرقان: 5]. **وقوله:** ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: 7]. **وقوله:** ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: 8].

ثم بين السبب الحقيقي لاعتراضهم **بقوله:** ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ [الفرقان: 11].

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ [الفرقان: 21] **وفي قوله:** ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: 32].

وفي قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ﴾ [الفرقان: 41-42].

وأما في هذا العصر فقد روجوا لبعض الشبهات بتسميات جديدة زاعمين برأيهم أنها علم جديد، كما أنهم وافقوا رؤوسهم في الجهل في البعض الآخر.

فقالوا عن الوحي بأنه نظرية الوحي النفسي، نسبة إلى نفس صاحبه فقد صوَّروا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه شاعرٌ أو مجنونٌ، وقالوا أيضًا بأنه أخذ القرآن الكريم عن علماء أهل الكتاب [1]

وبالتأمل في أثر الشُّبة التي لبَّسها الجُهَّال يتبين ما يلي:

أولًا: الظلم والزور.

قول هؤلاء المكذبين عن القرآن هذه الافتراءات إنما هي من قبل المكابرة والظلم، فلا أحد أعظم ظلمًا، ولا أكبر جرمًا ممن افترى على الله، أو ادعى في دين الله ما ليس منه، قال تعالى: ﴿**وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ**﴾ [الأنعام: 93] [2]

إن العالم الإسلامي اليوم يعيش حرب أفكار على

(1) دراز، **النبأ العظيم**، ط، 1426هـ- 2005م، (ص:96- 97).

(2) انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، (ص/ 265).

أصوله الدينية، وعقائده المسلمة، تهدف إلى نقض الإسلام عروة عروة، من خلال ما يُروَّج من المغالطات لهدم الإسلام، مما ينبأ أن التلاعب في تحريف نصوص الوحي لا يزال هو السبب في نشأة الأفكار المنحرفة، والتشدقات الباطلة (1)

فكان الواجب على المجتمع المسلم ابتداءً بالأسرة وانتهاء بالمجتمع برمته الحفاظ على الثوابت الدينية، خاصة ثوابت الوحيين، فلا يهزهم قول قائل ولا دعوى مدعي.

ثانيًا: التعصب المَقِيت.

التعصب للمعتقدات الباطلة يلغي التفكير السليم، ويحل مكانه أفكارًا سيئة تقود الإنسان إلى تصرفات تضر به وبمجتمعه، والتعصب وإن كان ظاهرة جاهلية إلا أنَّ الجاهلية اليوم عادت بشكل أكبر وتشكيك واستهزاء واستهانة بالوحي والنبوة قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ﴾ [الفرقان: 41-42].

لقد حاول هؤلاء المشككون التعصب لما تمليه عقولهم وأهواءهم من الباطل، وتأييد شبههم دون رعاية للدليل ولا تأمل في البرهان، وحاولوا القدح فيه، فجنوا على أنفسهم وعلى الناس ويلات بسبب تفكير عقولهم التي لم تهتد لما خلقت له من الحق، فعاشوا في زيادة البغض والكره لكل من ناقضهم، وكل متعصب يريد أن ينتصر لرأيه وقوله، فنتج عن ذلك دخول المجتمعات في صراعات وويلات، وربما تطورت لتصبح حروب تسفك فيها دماء الأبرياء (2)

وبعد ذكر بعض آثار الشبهات التي جرت على المجتمع المسلم الويلات والصرعات، نذكر أثر ويلات إتباعهم؛ بسبب إنكارهم للحقائق والثوابت الدينية، وتكذيبهم وظلمهم وشكِّهم في دين الله ﷻ، ومحاربتهم دعوة الله ﷻ المتمثلة بإرسال رسله عليهم السلام، وإنزال كتبه، وما ذاك إلا لأن القوم لم يكن لديهم أدنى مسكه من عقل يرشدهم ويهديهم، فجرَّ عليهم الهلاك من كل جانب.

المطلب الثالث: تأثر تفكيرهم بِاتِّباع أهوائهم.

خلق الإنسان لعبادة الله ﷻ والتفكر في آلائه والعمل لملاقاته، فإذا خالفه واتبع هواه كان أشد ما يفتك به، حتى يصُدَّه عن الحق، وإن كان أبلج، والسبب في عدم قبوله أن الهوى يورث الكبر في القلب عن قبول الحق فقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: 50]

قال السعدي: ففي الآية "دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى" (3) فلا تلبث أن ترى صاحب الهوى اكتفى بنفسه بل تجده يتصدر كل مجلس ليقنع الناس بحديثه كما أخبر الله بقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ

(1) انظر: عبد العزيز مصطفى كامل، **معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية**، د.ط، (ص/ 6-13).

(2) انظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ط1، (2/ 124).

(3) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، (ص/ 618)

عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: 119]

وفي هذا المطلب يتم عرض تأثُّر أهوى القوم الذين لم يكن لديهم ما يكون لهم ذخرًا في الدنيا ولا في الآخرة. فقد ذكر الله ﷻ ذلك في قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: 35-40]

وبالتأمل في مغبة مصارع الأقوام كان أثر الضعف في مايلي:

أولًا: السيطرة على العقول.

في ضوء الآيات السابقة عُلم كيف استطاع التابعون التأثير على الأتباع وتزيين الباطل لهم وصدهم عن سبيل الحق ابتداءً من زمن نوح وحتى عصر نبينا محمدﷺ، أرسلت الرسل تترا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات والبراهين، ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [الأعراف: 101] والسبب في عدم الاستجابة أنهم تشبثوا برؤوسهم فهذا فرعون مثلًا تمرد وتجبر وأهان حزب الله من بني إسرائيل وتبعه ملؤه على ذلك، ولم تزل المجادلة والآيات تقوم على يدي موسى عليه السلام مرة بعد مرة مما يبهر العقول، ولكنهم ما زالوا على صممهم وعماهم وعنادهم حتى أصابهم بأسه الذي لا يُرد ونكاله الذي لا يُصدّ [1].

هذا ما كانت عليه الأسلاف المسيطرة التي استطاعت من خلالها التأثير على عقول الخلق، والعبث في كيفية تفكيرها لتبقى في وحل الجهل والتبعيَّة.

إن واقعنا اليوم لا يبعد عن هؤلاء الأقوام فهو مستهدف في أصوله وثرواته الدينية، والعمل على إضعاف قوته ولعل أفضل وسيلة لإخضاع سيطرتها هي مصادرة عقول البشر، والعمل الجاد على تغييبها، والعبث في مسلماتها، ليبقوا غارقين في ظلام الجهل منقادين لكل داع لهم، جاهدين على إبقاء هذه العقول مغلقة لا تتفتح لتفكر فيما يعود عليها بالنفع في دُنْياها وأُخْراها، بل حتى لو أرادت إعمال عقولها لكان في مشاريع دنيوية رخيصة، أو فيما يهلك الحرث والنسل، يريدون منهم أن يكونوا بضائع للمتاجرة بمسلمات الخالق، ويُعَبِّدوا الخلق لغير خالقهم سبحانه وتعالى.

ثانيًا: التبعية بلا تفكير

إن ظاهرة التبعية ناجمة عن الجهل واتباع الهوى، ولهذا لما أرسل الله ﷻ المرسلين كان الهدف هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنّ الزهد فيما جاءت به الأنبياء عليهم السلام واتباع أهل الزيغ من أشدّ الضلال، ودليل الإعراض عن الحق، ورغبتهم عنه ولهذا قال تعالى عن هؤلاء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ

(1) انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، (4/ 247-249).

﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة: 170]. (1)

إنّ التبعية تقود الناس للسعي بلا بصيرة وتقليد للآباء بلا وعي، وتعطيل للحواس والأفئدة، و تكذيبهم للحق وأهله، ومع الاستمرار في هذا الفكر وعدم تصحيح المسير تحلُّ العقوبات والنكبات، ولقد أخبر الله ﷻ عن ذلك بقوله: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾ [الأعراف: 4]. فلا بد للمسلمين اليوم أن ينظروا للأجيال المسلمة بنظرة الحمية والغيرة، والعمل الجاد من الخروج من هذا الواقع الموجع، وإبراز المسلمات الدينية لشخصية أجيالنا واستقلالهم بمنهج الشرع، وبث فكر أنَّ مبادئنا وقيمنا وتقدمنا إنما هو نابع من التمسك بهذا القرآن الكريم واتباع سنة النبي ﷺ والعمل بهما، فالمؤمن يتسلَّح بالوعي، ويكون كيسًا فطنًا.

ثالثًا: معركة الثوابت.

معركة ناقمة لم يكن عهدها قريب إنما هي سبب إرسال جميع الرسل عندما قالوا لأقوامهم ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف: 65]، فكانت معركة مشتركة بين أقوام الأنبياء عليهم السلام فيها انتهك أصحابها كثير من الجرائم أعظمها وأشدها وهو الخروج من إطار العبودية لله ﷻ وحده إلى فوضى العبوديات المتعددة لغير الله تعالى، حيث العبودية للنفس أو للناس أو الشيطان أو المال أو الجاه أو الشهوة وغير ذلك، (2) كما وقعت بعض الأقوام بجانب التكذيب بانتكاسة الفِطر كمثل قوم لوط ﷺ فقال: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 80-82]، فلما لم يغن عنهم التخويف فأنزل الله تعالى عليهم عقابه وجعلهم عبرة للمارين بها فقال: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا ٤٠﴾ [الفرقان: 40].

وقد حذر ابن القيم r من ذلك بقوله: "ونجاسة الزنى واللواطة أغلظ من غيرها من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدًا. ولهذا، أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركًا، فكلما كان الشرك في العبد أغلب، كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر. وكلما كان أعظم إخلاصًا، كان منها أبعد. كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: 24] (3)

إن الفكر البشري اليوم يعاني من أثر هذه الانتكاسة،

(1) انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، (ص/ 81)

(2) انظر: عبد العزيز مصطفى كامل، **معركة الثوابت**، د. ع، (ص/ 6-7).

(3) ابن القيم، **إغاثة اللهفان**، د.ط، (1/ 64).

خاصة جيل الشباب الذين لم يَعوا ما يُكاد لهم من ويلات في حياتهم، والتي جعلت من عقولهم ألعوبة في أيدي غيرهم يحركونها كما أرادوا.

الخاتمة

أولًا: أهم النتائج:

وقد توصلت الباحثة إلى الاستنتاجات الآتية:

1- إن قوة تفكير المسلمين نابعة من التأمل والنظر في هذا الوحي العظيم الذي من شأنه، يهدي للتي هي أقوم، وبالنظر في آيات هذه السورة سنجد أن هناك أقوام انطلقت في البيان والتبيان، وأخرى غرقت في الضلال والإضلال.

2- يعتبر الغرور بالعقل والوثوق المطلق به من الرزايا العظام في الخلل في التفكير.

3- من أساب ضعف التفكير التسرع والعجلة، والتقليد الأعمى، والافتراء في دين الله وغيرها من الأسباب.

4- إنَّ من أعظم معوقات ضعف التفكير هي: الجهل بالوعي الصحيح، والعمل على إبعاده في ظل الفضاء المفتوح، مما يجعل من الإنسان يفكر بعقل غيره لا بعقله.

5- هناك آثار عظيمة على الأفراد والمجتمعات جراء ضعف تفكير عقولهم منها: التبعية، والسيطرة على عقولهم، والبحث عن أهوائهم، والتقليد الأعمى، ووقوعهم في الشهوات والشبهات...

ثانيًا: أهم التوصيات:

1- عمل مؤسسات تعليمية مختصة بالأفكار الهادفة وتطبيقها في ورشات عمل في أبناء الجيل الحالي.

2- تأهيل شباب مصلحين يعملون في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي وبث الوعي الصحيح للحفاظ على عقول الشباب.

3- عمل دورات تدريبية للآباء والأمهات في كيفية غرس الأفكار والعمل على تجديدها، وإيجاد بيئة صالحة لهؤلاء النشء.

وأخيرا نسأل المولى القدير أن يوفقنا للتمسك بالإيمان، وأن يعلمنا الدين، ويرشدنا إليه، وأن يوفقنا للتفكير الباعث لسعادة الدارين، إنه ولي سميع مجيب، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه، ومن اقتدى به إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. بكار، عبد الكريم، **المناعة الفكرية**، ط4، (الرياض: دار وجوه، 1435هـ-2014م)
2. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، **سنن الترمذي**، ط2، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،1395 هـ - 1975 م).
3. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، **التعريفات**، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، (بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية،1403هـ -1983م).

4. الجُلَيِّل، عبد العزيز ناصر، **أفلا تتفكرون**، ط1، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1426هـ- 2005م).
5. دراز، محمد بن عبد الله، **النبأ العظيم**، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، د.ط، (دار القلم للنشر والتوزيع1426هـ- 2005م).
6. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي، **النكت على مقدمة ابن الصلاح**، المحقق: د.زين العابدين بن محمد بلا فريج، ط1، (الرياض: أضواء السلف،1419هـ - 1998م).
7. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، (مؤسسة الرسالة،1420هـ - 2000 م).
8. شحاته صقر، **الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان**، د.ط، (الاسكندرية: دار الخلفاء الراشدين، ودار الفتح الإسلامي).
9. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط1، (مؤسسة الرسالة، 1420 هـ / 2000 م).
10. الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، ط1، (دار ابن الجوزي، 1432هـ).
11. عائشة عبد الله السعدي، ومحمد سليمان نور، **المخدرات الرقمية وآثارها على مقصد العقل: دراسة مقاصدية**، د.ط، مج11، ع4، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية (الشارقة: 6/8/2020).
12. عبد العزيز مصطفى كامل، **معركة الثوابت**، د.ط، د.ع، سلسلة تصدر عن مجلة البيان.
13. ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، **مقايس اللغة**، د.ط، (دار الفكر:1399هـ - 1979م).
14. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، د.ط، (بيروت: المكتبة العلمية).
15. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، المحقق: محمد حامد الفقي، د.ط، (الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف).
16. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية، **مفتاح دار السعادة**،

المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد (وفق المنهج المعتمد من بكر بن عبد الله أبو زيد – رحمه الله –)، راجعه: مُحَمَّدْ أَجْمَل الإصْلاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، ط1، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد،1432 هـ).

17. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، **القرآن العظيم**، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون،1419هـ).

18. المباركفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية).

19. محمد أحمد حسين، **مكانة العقل في القرآن الكريم**، د.ط، أبحاث ووقائع المؤتمر العام الثاني والعشرون.

20. محمود رشاد محمد عبد النبي، **العقل الفردي والعقل الجمعي وأثرهما في نفسية المدعو**، د.ط، جامعة الأزهر، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

21. المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، **تفسير المراغي**، ط1، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده،1365 هـ / 1946 م).

22. مسلم، الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

23. المناوي، محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط1، (القاهرة: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت،1410هـ-1990م).

24. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى، **لسان العرب**، ط3، (بيروت: دار صادر،1414هـ).

25. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصـــور **تهذيب اللغة**، ط1، المحقق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي 200م).